## الشعر

موضوع طالما تاقت نفسي الى خوض عبابه وسلوك شعابه فتمنعني عنه شؤون تحسر النظر وتمني اللسان بالحصر فاحجم حيث اريد الاقدام وادبر حينما احاول الاقبال واعود الى حكم العجز حتى زف اليَّ البريد انيس الجليس فما وقع نظري على المقالة المعنونة « بالشعر عند الانكليز » حتى ثارت بي عاطفة الغيرة وانفرجت امامي ابواب الكتابة ورايت ان اقتفي ذلك الاثر واذكر ما لدي من بعض الوصف والخبر

فالشعر ديوان العرب وبه تقييد اوابد الادب تنخرط في سلكه فرائده وتنتظم بنفائس دُرره قلائده يجتلي الناظر فيه فرائد المعاني في احسن المقاطع والمباني ويبث المتأنق فيه حكمه بان من الشعر لحكمة . نعم والشعر لسان الزمان وخلاصة وصف اعمال الانسان تهذب به الاخلاق وتستثير القرائح وتشفى السخائم وتنبعث الهمم وتطيب المجالس وتقضى الحوائج والشعراء صيارفة اخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل فهم امراء الكلام يقصرون طويله ويطولون قصيره يقصرون ممدوده ويخففون ثقيله

ولولا خلال سنها الشعر ما درى  بغاة الندى من اين توتى المكارم

والشعر قديم مصاحب لتاريخ اللغات وقد ذكر بعض مؤرخي العرب



اشعاراً نسبوها الى عاد وثمود وقحطان وذلك منذ ٣٥ قرناً وهو لا يختص بلسان واحد بل هو موجود في كل لغة عربية كانت او اعجمية فقد نبغ من بين الفرس والرومان واليونان وغيرهم شعراء خدموا بلادهم وزمانهم خدمة لا تقدر فوائدها كهوميروس اليوناني صاحب الالياذة الممتازة بوصف المناظر وسرد الوقائع ودقة التعبير عن العواطف والاشارة الى الفنون والعلوم والمعتقدات وحالة العمران القديم وادوات الحرب وذكر اسماء اولئك الملوك والابطال والمدن والاخلاق والعوائد والملابس والمآكل والمشرب وغير ذلك مما لم يحوه كتاب ضخم عن اي عصر من العصور

وقد ترجمت هذه القصيدة الى كل لغات اوربا وقد ترجمها الى العربية حضرة المدقق الشاعر المطبوع سليمان افندي البستاني ثم فرجيل وهوراس الرومانيان ودانتي وطاسو الايطاليان والفردوسي الفارسي وغوتي وشيكر الالمانيان وملتون وشكسبير وبيرون وتنسون وغيرهم من الانكليز وفيكتور هيكو ومولير وراسين وبوالو من الفرنسويين

ولقد كان هذا الفن شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطائهم واصلاً يرجعون اليه في الكثير من فنونهم وحكمهم وانسابهم وتاريخهم وكانوا يتنافسون في انتحاله فيقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على كبار الشأن واهل البصر حتى انتهوا الى المنافسة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم ونقطة ائتلافهم كما فعل اصحاب المعلقات وهم امرؤ القيس والنابغة وزهير وعنترة وطرفة وعلقمة والاعشى وغيرهم فانه انما كان يتوصل الى تعليق شعره بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه من هذا الفن

وظهوره فيه. ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القرآن وبلاغته فسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً حتى اونس الرشد من الملة ولم ينزل القرآن بتحريم الشعر وحظره وسمعه النبي واجاز عليه كما كان من امر كعب بن زهير صاحب « بانت سعاد » ولقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر التمثل بقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وكان يضع لحسان بن ثابت منبراً يقوم عليه يفاخر عن الاسلام حتى قال عليه السلام ان الله يؤيد حساناً بروح القدس ما ينافح او يفاخر والشعراء محترمون في كل زمان ومكان وحسبك مبالغة اليونان في تعظيم هوميروس حتى وضعوه موضع اله وعناية ملوك اثينا باشعاره حتى جعلوها كتاباً واصبحت من ذلك العصر درساً قانونياً في المدارس العالية من لم يحسن حفظها عد علمه ناقصاً وتسابق الملوك والاعيان الى اقتنائها والتلذذ بقراءتها وانشادها وكان الاسكندر يحملها معه في اسفاره وحروبه اعتداداً بها واعتماداً على بركتها وكفاك حزن كسرى لقتل عدي بن زيد الشاعر الجاهلي من يد النعمان وكيف طارد هذا حتى قتله

ولقد كان الخلفاء يجيزون الشعراء ويقربونهم الى مجالسهم ويحرصون على اقتناء اشعارهم يطلعون منها على الاثار والاخبار واللغة والانساب والحكمة كما يدل على ذلك مسامرة الرشيد للاصمعي وابي نواس وغيرهما مع ما كان عليه من المعرفة بهذا الفن والرسوخ فيه

ويروى انه لما مدحه ابو نواس بقوله



ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ضرب براحته قبضة سيفه وقال لو لم أرَ في حكمي غير ما دعاك الى هذا القول لكفى

ولم تسكن ثورة المصريين على واليهم الخصيب وتحقن دماء الالوف من العباد الا بقول ابي نواس رحمه الله

نصحتكم يا آل مصر نصيحتي ألا تخذوا من ناصح بنصيب

فان يكُ فيكم افك فرعون باقياً فباقي عصا موسى بكف خصيب

ولقد كان الاخطل يدخل على عبد الملك احد خلفاء بني امية وعليه جبة خز وفي عنقه طوق من الذهب ويجلس في صدر المجلس بدون اذن

وهمَّ حاكم سرقسطة بغزوة فدخل عليه ابن باجه الشاعر الملحن المغربي وانشد

جرّر الذيل ايما جرّ وصل الشكر منك بالشكر

فلما انتهى الى قوله

عقد الله راية النصر لامير العلى ابي بكر

طرب الممدوح كثيراً واقسم ان لا يمشي ابن باجه الا على الذهب الى داره فخاف ابن باجه سوء العاقبة واحتال بان جعل في نعله ذهباً ومشى عليه

ولما مدح ابن هانيء جوهر القائد عند سيره لفتح مصر بقصيدته التي مطلعها

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع وقد راعني يوم من الحشر اروع

جمع جوهر اركان الحرب وقواد الجيش وامر بتلاوتها عليهم وكانت اول باعث في الجند روح الشجاعة والامل ولما تم فتح مصر على يديه امر

باحضاره لديه فلما حضر اكرمه غاية الاكرام وقال له اشفقت عليك لقولك

وان بنا شوقاً اليه ولوعة  تكاد لها اكبادنا تتصدع

ولما مدح المعز بقصيدته التي منها

ياويلكم أفا لكم من صارخ  الا بثغر ضاع او دين عفا
فمدينة من بعد اخرى تستبي  وطريقة في اثر اخرى تعتفى
حتى لقد رجعت ديار ربيعة  وتزلزلت ارض العراق تخوفا
فالشام قد اودى واودى اهله  الا قليلاً والحجاز على شفا

غضب المعز وكاد يختنق غيظاً فلما انتهى الى قوله

فتربصوا فالله منجز وعده  قد آن للظلماء ان تتكشفا
هذا المعز بن النبي المصطفى  سيذب عن حرم النبي المصطفى

علا وجهه الاحمرار وقبض على حسامه وامر بجمع الرجال واعداد الذخيرة فهزم الروم وردهم عن الشام

ولم يتولَّ اسماعيل بن صالح احكام مصر الا لقوله

لعمرك ما اهويت كفي بريبة  ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها  ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة  من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

وكان المعلم ناجي الشاعر التركي الشهير محبوباً من جلالة مولانا السلطان حتى انه حفظه الله اوصى انجاله الكرام بحفظ اشعاره ولما توفاه الله اصدر مولانا الخليفة امره الكريم بان ينفق على جنازته ودفنه من الجيب الخاص وان يدفن في تربة السلطان محمود . ولم يتخلص المرحوم عبد الله باشا فكري من تهمة الاشتراك في الثورة العرابية ويعود الى شريف مكانته لدى المرحوم



توفيق باشا خديوي مصر السابق الا بسبب قصيدته التي مطلعها

كتابي توجه وجهة الساحة الكبرى  وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا

ولما كنت تلميذاً بمدرسة طنطا وكان عمري اذ ذاك ١٥ عاماً زارها سعادة الهمام محمد سعد الدين باشا مدير الغربية فقدمني لسعادته ناظر المدرسة فاقترح علي تقديم نصيحة بالنظم لاخوتي التلامذة ففكرت قليلاً ثم انشدت

يا طالب العلم ونيل العلى  قم باكراً عند طلوع الصباح
من قبل ان ترشف شمس الضحى  ريق الغوادي من ثغور الاقاح

فطرب وصفق وكان هذان البيتان سبب صلتي بسعادته الى الان وحبسني ضابط المدرسة انتقاماً وظلماً فكتبت اليه

علام تعيبني ولاي ذنب  تعاقبني وتسلبني كتابي
اساءك انني بك لا ابالي  واني لا اماري او احابي
ظلمت تشفياً مني وجهلاً  اذاً انت الاحق بذا العقاب

فلما بلغت ناظر المدرسة هذه الابيات اطلقني معززاً وامر بان لا تشملني سلطة هذا الضابط

هذا قليل من كثير يضيق المقام عن ذكره فعلى القارىء مراجعة الاغاني والعقد الفريد وطبقات الشعراء وغير ذلك من المجلدات الضخمة المدونة فيها اخبار الشعراء والحافظة لهم مركزهم الشريف من الاجتماع

ولقد نبغ من بين ابناء اللغة العربية في هذا العصر كثيرون من مجيدي الشعر ومبتكري المعاني ومعيدي شباب اللغة اليها ممن يفتخر العصر بهم ويتباهى المشرق ففي مصر سماحة السيد توفيق البكري وشوقي بك وابرهيم بك المويلحي واسماعيل بك عاصم واسماعيل باشا صبري وخليل افندي مطران

ومحمود افندي واصف واحمد افندي محرم والياس افندي فياض ونقولا افندي حداد ومحمد افندي محمد بالاوقاف وابرهيم افندي جمال المحامي والشيخ احمد ابو علي الازهري ومحمود افندي خاطر وغيرهم وفي الاستانة يوسف ضياء الدين باشا الخالدي القدسي وجميل افندي صدقي الزهاوي وعبد الجليل افندي براده اليمني ومحمود افندي ذكي وسلاوي بك والامير شكيب ارسلان وغيرهم من تابعي الشام والجزائر وتونس والهند والحجاز وغيرها من البلاد التي ينشر القرآن فوقها ظله الوارف وبسطت على ارجائها اللغة العربية جناحيها الجميلين ولكن معظم هولاء الشعراء (وهم كثيرون غير من ذكرناهم) مقتصرون على استعمال نظمهم في سبيل الاستجداء والمديح والرثاء والغزل فكادت تذهب الفائدة وانف منه لذلك اهل المراتب والمناصب والهمم كما سمعنا من ان سعادة الكريم اسماعيل باشا صبري لما بلغه خبر اهتمام شوقي بك بطبع نظمه ضمن (الشوقيات) ارسل سعادته لهذا يعتذر عن عدم رغبته في ان ينسب اليه نظم مع ماهو عليه من الدقة والبلاغة واسلوب العصر اما هو القائل

انما الارض والسماء كتاب  فاقرأوه معاشر الاذكياء

ولكنهم معذورون في ذلك لقلة موارد ارتزاقهم وشدة احتياجهم الى النفقات فهم مضطرون لان يقتصروا في نظمهم على هذا السبيل ويأليتهم يعتاضون من ممدوحيهم بشيء عما بذلوه من الوقت وثمن الزيت والورق على الانشاد والنظم فاغنياء الامة واكابر حكامها لا يعبأون بالنظم ولا بالشعراء ولا يقدرونهم حق قدرهم من التبجيل والاحترام فالشعر في اعتبارهم لغو ومحنة والشعراء همل لا شرف لهم ولا فائدة فيهم ولذلك اصبح من يريد



الانتظام في عقدهم لا يبتدىء في تقطيع بيت الا بعد افراغ جهده في الحصول على مهنة اخرى يتناول منها حاجته المعاشية

فمن شعرائنا الطبيب والحاكم والمحامي والقاضي والمترجم والجندي وهولاء طابت معيشتهم واستقامت حالتهم ونالوا ما كانوا يشتهون من وسائل الحياة مع ان اخوانهم في المبدا والصناعة يتضورون جوعا وفاقة اذا سمعوا باكتشاف او اختراع وهموا باستطلاعه لوصفه اقعدهم عدم وجود نفقات النقل واذا انفوا كتاباً او نظموا قصيدة وارادوا طبعها ليتداولها الناس لم يجدوا معيناً او نصيراً

ألّف احدهم قصيدتين دعا بهما الوطنيين الى تدارك حالهم وتقويم معوج امورهم فقدمها الى موظف كبير راتبه الشهري تسعون جنيهاً عساه يساعده على طبعها فلم يجب هذا العظيم الا بالرفض وتحذير الشاعر من الاشارة اليه في مؤلفه

وارسل آخر لاحد اغنياء المصريين وكان يتنزه بالاستانة حينئذ قصيدة جاء في مطلعها

ذكرت فروق فسحّ دمعي الصيبُ  شوقاً وطار فؤادي المتلهب
وطن ارى مر العذاب اذا شغفت باهله يحلو لدي ويعذب

ثم تدرج في كلامه الى مدح هذا الغني والشكوى اليه واستجدائه فلم يعبأ بطلبه ولم يلتفت اليه

واعرف شاباً بلغ الان من العمر عشرين عاماً قضاها بين المحابر والدفاتر ودرس الفلسفة وعلم الاخلاق والتاريخ والمنطق وتضلع من اللغة العربية وألم بالفرنسوية عافت نفسه الخدمة في دوائر الحكومة فانشأ مدرسة في قريته

ومسقط راسه ونظم قصيدة تبلغ ابياتها تسعين بيتاً وطبعها ووزعها على بعض المديرين وكبار الاغنياء فلم يلبه احد فكتبت اليه

لا تنظم الشعر في هذا الزمان فما لناظم الشعر انصار واعوانُ
لو ان ابحره تجديه منفعة ما خضتها وانا يا صاح ظمآن

ومات لرئيس احد الادباء الموظفين ابن فرثاه هذا بقصيدة وقدمها للرئيس فما كان منه الا ان رماها له وقال ( هل شعرك يحيي لي ابني )

وعندي انه لا سبيل لترقية الشعر في مصر وتحسينه الا بتأليف جمعية من شبان مصر وافاضل النشأة الوطنية يرأسها سماحة السيد توفيق البكري او سعادة اسماعيل باشا صبري او غيرهما من كبار الشأن واهل اليسار تختص اعمالها وابحاثها بالشعر والحث على انتحاله او العمل بوصاياه وحكمه فالامير والجندي والطبيب والصانع والتاجر محتاج الى الحكم منبع السعادة في الدارين ويفتح فيها باب واسع للاقتراح وتقدر له جوائز ومكافآت مهمة كما تفعل الان مجلة انيس الجليس مع انها مجلة نسائية غير مطالبة بما لا يخرج عن حد شؤون المرأة وامورها . وبذلك يصان وجه الشعراء عن الخجل والمذلة وتستريح اقدامهم من السعي في طرق الابواب للاستجداء

ويشمل باب الاقتراح وصف الحرب — القمر — الشمس — الكهرباء — البخار — التصوير — الدعوة الى الاحسان — الاخلاق — العوائد — الحكم — كما كان يجري عليه فقيد الوطن بل الشرق المرحوم الشيخ نجيب الحداد ويجري عليه الان شوقي بك وغيره

أليس من العار ان تفتح جنودنا المصرية بلاداً بعد موقعة اهتزت لها اركان العالم ثم لا نرى شاعراً من نابغي الوطنيين هنأ الوطن او وصف الجيش



وصفاً ينفث فيه روح الشجاعة والتسلية والرجاء

هذا واختم رسالتي بحث اغنياء الامة وكبار حكامها على احترام الشعراء ومكافأتهم على خدمتهم للانسانية والوطن ولهم برسول الله اسوة حسنة . وليعتبروا بما كتبه عبد الملك الى عامله الحجاج حينما بلغه انه لا يراعي الشعراء فقال :

« اما بعد فقد بلغني عنك ما كذب فراستي فيك واخلف ظني بك من اعراضك عن الشعر والشعراء فكانك لا تعرف فضيلتهم ومواقع سهامهم او ما علمت ان بقاء الشعر بقاء الذكر ونماء الفخر وان الشعراء طراز الدولة وحلاها وعنوان النعم وتمام المجد ودلائل الكرم وانهم يحضون على الافعال الكريمة وينهون عن الاخلاق الذميمة وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها ودلوا العفاة على ابوابها فاستدرك فرط تفريطك وامح بصوابك عار اغاليطك »

ثم وليجتهد الشعراء في ترقية معانيهم وليتابعوا السير في طريقهم المحمود ولو نازعتهم النوازع ولهم اسوة بامرىء القيس الذي باد ذكر قبيلته واجداده وابقى ذكره شعره ثم ابن المعتز وابن فراس الحمداني ومحمود باشا البارودي ( الجندي الباسل ) واحمد عزت باشا الفاروقي الموصلي والامير عبد القادر الحسني الجزائري وشبيب باشا وغيرهم من اصحاب المناصب والمعالي والسلام

احمد الكاشف بالقرشية